

مواجهة السجال الديني بقلم: د. حنا جريس

السجال الديني المنتشر الآن هو أحدث محطات الفتنة الطائفية، التي بتنا نتعايش معها كأنها قدر لا فكاك منه، أو أنها نتيجة طبيعية لتعدد الأديان، وإذ قد تباطأنا في حلها فهي تتحول بأسرع مما نتصور إلى كارثة حقيقية، إذ يكاد لا يمر أسبوع دون أن نرى نتائجها في كل بقاع مصر، فإذا لم ننتبه فإنها ستدفع المجتمع إلى الهاوية.

السجال الديني الحادث الآن هو فوضي من الكتابات والأحاديث التليفزيونية والاشتباكات على القنوات الفضائية ومماحكات وصدامات على شبكة الإنترنت. وهو سوق تمرس فيه الجهلة المتبحرن في معارك كلامية ولفظية عالية الصوت في هجوم ضار على أديان الخصوم بكثير من الجهل والعصية وربما البلطجة الكلامية والفعلية وربما كانت هناك أسباب عديدة لاحتدام المشكلة الطائفية وتحول المنغمسين فيها إلى حالة عصابية من الفعل ورد الفعل، من الصياح إلى الصياح المضاد، وربما كانت الأسباب عالمية أو محلية وربما كانت سياسية أو اقتصادية، إلا أنني أرى أنها إحدى مظاهر تدهور المناخ الثقافي العام ووهن الأخلاق وتراجع كل معالم التحضر التي يبنينا العلم والتفكير العلمي والفلسفي والإبداع الفني الراقى ويساهم الدين في تميمتها.

فالمشهد الثقافي الحالي تم نزع كل أشكال المعرفة والفكر منه ما عدا الثقافة الدينية، شبه الدينية - إن شئت الدقة - و يتصدره مجموعات من محترفي الإنجاز بالأديان. فبعد انتصار التيار المتدين المحافظ في العقود القليلة الماضية على كل ما عاده من تيارات فكرية، لم يتصدر الساحة العلماء والمفكرون الدينيون، فهؤلاء تم إبعادهم لصالح الدعاة والأكليروس الشعبين، وهؤلاء ليس لديهم العلم العميق ولا الأخلاق التي تجعل منهم مصدر للمعرفة الدينية العميقة والحكمة الراقية و من ثم احترقوا دغدغة غرائز مريديهم بسيل من الخرافات والمعارك الوهمية.. ويبدو أن هؤلاء السادة الذين يتعاملون على الناس بفتات المعلومات لا يهمهم مصير وطن أو مصير بشر، بل يبدو أن لديهم قناعة أنه كلما زادت التوترات كثرت النجاحات، وما البشر إلا وقود المعركة الدينية الكبرى فيجب التضحية بهم من أجل الحياة الأبدية!! وهو ما يشبه كثيرا سيناريوهات نهاية العالم فالخلاص العام سيأتي عبر الكارثة العالمية الكبرى.

ولأنني لا أستطيع استيعاب مثل هذه التصورات الكارثية، كما أنني لا يمكنني قبول التعدي على السلام الاجتماعي أو على كرامة أي مواطن أو قبول أي استهزاء لأي معتقد سواء كان معتقدا دينيا أو دنيويا، فأني أرى أنه أن الأوان لمواجهة هؤلاء العصاةيين المدمرين. ولست أقصد المواجهة الأمنية، إنما أقصد أن نتحرك جميعا، كل من يحب هذا الوطن، لنكون حائط صد للدفاع عن الوطن وعن كرامة البشر القاطنين فيه. فنحن بحاجة شديدة إلى جبهة من المصريين الراضين لهذا النهج العدائي من هؤلاء الانتحاريين. ولهذا السبب استحسنيت رد فعل مسئولولي الأزهر

الشريف والعظيم عندما سعوا إلي وأد مشكلة وهم متألمون من سلوك فردي سيئ وثقيل, لقد رفضوا الإساءة لعموم الأقباط من أجل خطأ أحدهم. فهكذا كان الأزهر دائما, وفي صفحات التاريخ تكرر مثل هذا الموقف مرات ومرات ربما آتي علي ذكر بعضها في مقال قادم.

وموقف الأزهر هذا يجعلنا ننتظر موقفا آخر من الكنيسة القبطية, وهو موقف طال انتظاره, ان تأخذ الكنيسة موقفا جادا من ' القمص' الذي يسيء لنا جميعا عبر أحاديثه اللا أخلاقية وإساءته للعقيدة الإسلامية. فعلي الرغم من أن الكنيسة أوقفته عن الخدمة فإنه من الواضح أنه لا يزال علي رتبته الكهنوتية, وأعلم أنه لا يجوز شلح الكاهن لغير الأسباب الكنسية وتحديدًا في العقيدة لكنني أعرف أيضا للأسقف حق الطاعة علي الكاهن وللكنيسة الحق في فرز مثل هذا الشخص الذي لا يسيء إلي الآخرين وإلي وطنه فقط ولكنه يسيء بالأكثر للكنيسة ذاتها. ولا يمكن هنا أن نقبل التصريح الذي قاله أحد الأساقفة في إحدى المحطات الفضائية بأنه قادر علي طرده في دقائق معدودة, وحقته في عدم تنفيذه أن الكنيسة لا تفعل لأن هناك من يهاجم المسيحية!. فيا نيافة الأسقف أعتقد أنك أول من يعلم أنه لا يمكن من حيث المبدأ التعامل مع الأخوة بطريقة ' سيب وأنا سيب', فكم بالحري في مثل هذه الأحوال والوطن في خطر, نريد منكم قرارا يؤكد أن الوطن لا يزال يعيش فينا.

ربما كانت هناك أسباب عديدة لاحتدام المشكلة الطائفية وتحول المنغمسين فيها إلي حالة عصائية من الفعل ورد الفعل, من الصياح إلي الصياح المضاد, وربما كانت الأسباب عالمية أو محلية لا يمكن هنا أن نقبل التصريح الذي قاله أحد الأساقفة في إحدى المحطات الفضائية بأنه قادر علي طرده في دقائق معدودة